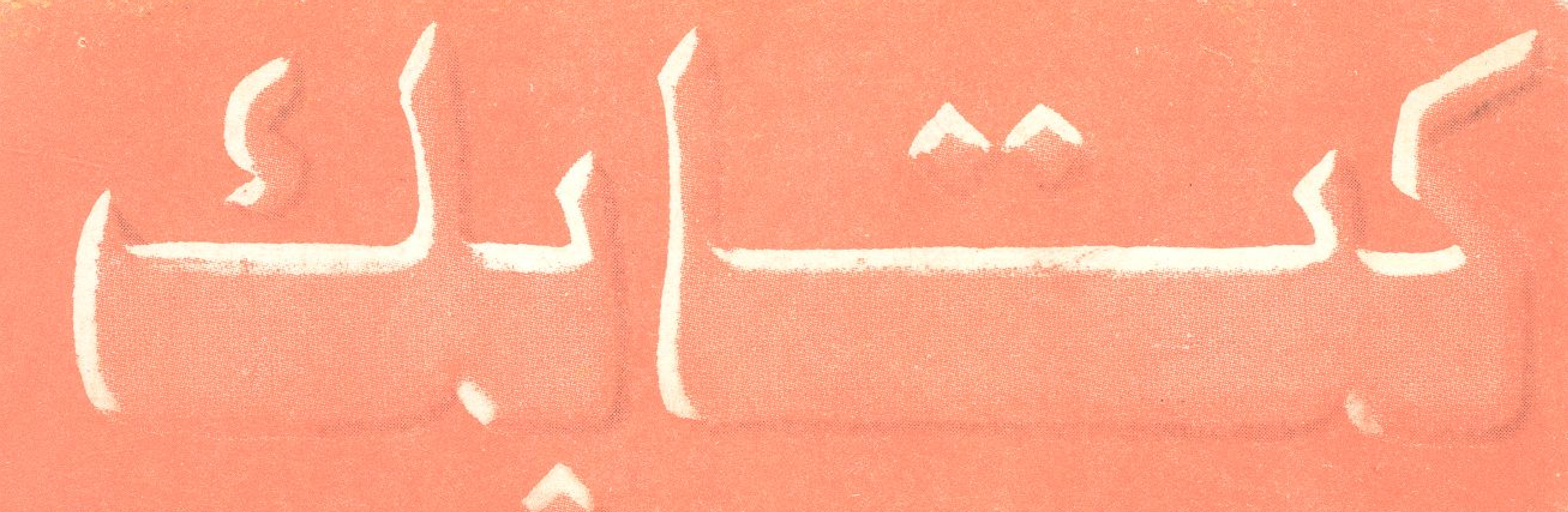


١٢٦

محمد عبد الحميد بسيوني





لفراعنة
أساطين الطب



دار المعارف

كتابك ١٢٦
رئيس التحرير أنيس منصور

محمد عبد الحميد بسيونى

الفراعنة
أساطين الطب

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا كتيب صغير عن الطب الفرعونى . . أحسست منذ وقت غير قصير بالحاجة للتعريف بالطب الفرعونى وصلته الوثيقة بالطب الحديث . . وهاأنذا قد انتهيت منه . . وأقدمه للقارئ راجياً أن أكون قد قمت بعملى هذا بأداء جزء مما يفرضه علىّ الواجب . . وما زال القارئ فى حاجة إلى كتب تتناول مختلف نواحى الحضارة المصرية وتقدم نتائج أحدث الاكتشافات والأبحاث وتجلى بعض النقاط الغامضة فى التاريخ المصرى قدر المستطاع .

وإنى مدين دون شك لأساتذتى الذين درست على أيديهم . . ومدين لعلماء الآثار من جميع الجنسيات الذين نشروا آلاف الكتب والأبحاث فى المائة والخمسين سنة الأخيرة . .

وهناك كلمة أخيرة . . إن تاريخ مصر طويل ومتشعب وكتب فيه الكثيرون وبخاصة من غير المصريين ، وكان كل كاتب ينظر إليه من زاوية خاصة متأثراً بثقافته الخاصة وشعوره الشخصى ، وكثيراً مانجد فى كتابات

بعض المؤرخين تحاملاً ليس له مايبرره على شعوب الشرق وحضارتها ومن بينها مصر ، ويذهبون إلى القول بأن تلك الحضارات القديمة انتهت أيامها منذ آلاف السنين وأن تلك الأمم قد ضعفت وفقدت استقلالها منذ أن فقدت تلك الحضارات قواها الدافقة وأصبحت من نصيب الغزاة الأجانب ، بل يذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فيشك فى أن ساكنى هذه البلاد فى الوقت الحالى ينتمون بأى صلة إلى القدماء ، ولست أريد أن أرميهم كلهم بسوء القصد أو التعصب الأعمى والتمهيد للاستعمار بإضعاف الروح القومية بين تلك الشعوب ، فربما كان بعضهم مقلداً لغيره دون وعى أو قصد ، ولكن الحقيقة هى غير مايقولون ، وقد آن الأوان لكتابة تاريخ وحضارة مصر من زاوية أخرى تتفق مع الحق وتتفق مع وجهة النظر المصرية ، ويجب أن يعرف أبناؤنا تاريخ بلادهم على حقيقته ولكن دون تنميق رخيص أو اندفاع مع الشعور .

* لقد كانت لمصر حضارة ومدنية منذ فجر التاريخ ، وكان لغيرها من شعوب الشرق حضارات ومدنيات ، وكما أعطت مصر غيرها أخذت منهم أيضاً ، وبقى لمصر دائماً طابعها الشخصى وبقيت لها مميزات ، لأنها نشأت وترعرعت فى ثرى هذا الوادى الكريم وكان لنيلها الفضل الأول عليها . . والمصريون اليوم – وإن اختلفت لغتهم وديانتهم عن لغة وديانة أجدادهم الذين عاشوا فى أيام الفراعنة أو وفدت عليهم شعوب أخرى امتزجت بهم وتمصرت وأصبحت جزءاً من سكان البلاد – مازالوا

يعيشون حيث عاش أجدادهم ومازالت تجرى فى عروقهم دماء الأقدمين .

إن روح مصر لم تمت فى يوم من الأيام وإن خبت شعلتها يوماً فقد كانت تعود ساطعة مضيئة يوماً آخر . .

ولقد أثبت المصريون فى كل زمان أنهم يدركون قدر أنفسهم ويدركون التبعات التى ألقاها على كاهلهم مركزهم الجغرافى فى هذا الجزء من العالم وسيرى القارئ أيضاً أنه مهما تقلبت على مصر الأحداث أو تعرضت لحلو الأيام ومرها ، فقد ظلت دائماً سليمة العنصر وبقى شعبها حيًّا لأنه جدير بالحياة .

والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق .

محمد عبد الحميد بسيونى

الفراعنة أساطين الطب

كان الطب المصرى القديم شأنه فى ذلك التقدم العظيم شأن جميع فنون الحكمة والكتابة المصرية ... يتصل اتصالا وثيقاً بالدين وممثليه الكهنة .

وهناك أدلة على ذلك ، فعندما يقول مؤلف « **ورقة إبرس الطبية** » البردية المشهورة فى مستهل كتابه ، ولعله قصد بذلك أيضاً إشهاره « إنى قد تخرجت من هليوبوليس مع أمراء البيت الكبير سادة الحماية وحكام الأبدية ..... إنى قد تخرجت من سايس فى صحبة أمهات الآلهة ولقد أعطيننى حمايتهن ... وذلك لكى أطرد جميع الأمراض .... إلخ .

فإن الاستنتاج لا يكون على شىء كثير من الغلو والجرأة عندما نفترض وجود المدارس الطبية الشهيرة فى هليوبوليس وسايس – لا شك أنها ملحقة بمعابد أتوم ونيت ذلك لأن ما أنتجته وخلفته هذه المدارس فى زمن المصريين القدماء وابتكارهم ونبوغهم فى **المعارف الطبية اتخذ أساساً لطب العصور التالية كلها** ، كما يبدو أن أطباء الدولة الحديثة فيما يختص بنظرياتهم عن تركيب الجسم وعلم وظائف الأعضاء لم يتقدموا كثيراً – وقد بقى كثير من أصول النصوص الطبية من عصر الدولة الوسطى وخاصة من الدولة الحديثة – ومن بينها ملفان سليمان **محفوظان الآن**

بمجموعات المتاحف الألمانية وأحدهما وهو « البردية الطبية الكبرى » بمتحف برلين عبارة عن ملف سهل للاستعمال اليومى يمكن اعتبار صاحبه طبيباً متمرناً لطول تجاربه العلمية .

أما الآخر الذى دخل فى حوزة مكتبة **جامعة ليبزج** بفضل **جورج ايبرس** فيضم كتاباً تعليميًّا للطب المصرى يمكننا أن نتصور أنه كان محفوظاً بمكتبة مدرسة طبية وكان الأطباء المصريون القدماء يعتقدون عادة أنهم يستطيعون بكل سهولة أن يروا مايؤلم مرضاهم ، ومع ذلك فإن الكثيرين كانوا يدركون **أن المعرفة الدقيقة للمرض هى أساس العلاج** . ومن ثم فإننا نجد حينما نقرأ البردية الطبية للمصريين القدماء تشخيصاً دقيقاً « إذا وجدت شخصاً بعنقه ورم وعنده ألم فى عضلتى عنقه وفى رأسه ، وعموده الفقرى متصلب وعنقه يابس بحيث لايستطيع أن يخفض بصره ليرى بطنه .... » إذن فقل إن بعنقه ورماً وصف له الدهان يتدلك به فيشفى فى الحال .

أو فى حالة مريض بالمعدة « فإذا وجدت شخصاً لديه إمساك .... ووجهه أصفر ، وقلبه يسرع بالنبض ؟ ، ووجدت عند فحصه أن بقلبه حرارة وببطنه انتفاخاً فإن هذا يكون **قرحة** تسببت عن أكل أشياء حارة . فحضر دواء يغسل هذه الأشياء الحارة وشراباً يفرغ الأمعاء ... وانقع جعة حلوة مع دقيق جاف لمدة ليلة واحدة ودعه يأكل ويشرب ذلك لمدة أربعة أيام ... ثم قم فى كل صباح وانظر إلى مايخرج من

شرجه فإذا كان مايتبرزه يشبه النواة السوداء . فقل : — إن هذا الالتهاب زال .. وأما إذا فحصته بعد أن تكون قد فعلت هذا ووجدت أن مايخرج منه يشبه الفول يغطيه الندى ؟ ... فقل عنه إن ماكان فى معدته قد زال .

— وكان على الطبيب غالباً أن يدخل فى حسابه سن مرضاه ، فعند انحباس البول يتناول الكبار مزيجاً من الماء الآسن وراسب الجعة — والبلح الأخضر وبعض الخضراوات الأخرى . على أن تكرر الجرعة أربع مرات — أما الأطفال فإنهم لايتعاطون هذا الدواء وإنما يستعملون قطعة قديمة من بردية مكتوبة تنقع فى الزيت وتوضع كلفافة ساخنة حول البطن .

كما أن هناك فارقاً يجب مراعاته بين طفل وآخر ، فنحن نقرأ مثلاً فى البردية « إذا ماكان الطفل كبيراً فإنه يأخذ حبوبا — أما إذا كان لايزال فى قماطه فتذاب الحبوب فى لبن مرضعته » .

— ولقد نبغ الطبيب المصرى القديم فى وضع الدواء لجميع الأمراض . . فمثلاً **لعسر الهضم** كان على المريض أن يأخذ بعضاً من ثمار نبات « **الدجم** » ويمضغها مع قليل من الجعة فيطرد هذا المرض من جوفه .

ولنمو شعر المرأة تدق ثمار نبات « دجم » وتعجن حتى تصير كتلة يجب على المرأة أن تضعها فى الزيت وتدهن رأسها بها .

وبالرغم من كل هذا ، إلا أنه فيما يبدو أن نبات « دجم » لم يلعب دوراً كبيراً فى الطب ، فنحن لانجده فى الوصفات إلا فى القليل النادر نسبيًّا .

– أما قسم **أمراض النساء** فكان نطاقه بطبيعة الحال فى مصر القديمة واسعاً كما هو الشأن فى جميع البلاد الأخرى . وتحدثوا عن الأم ولم ينسوا رضيعها فنحن نعرف أنه منذ الصرخة الأولى يمكن أن يتنبأ الإنسان بحظه فى الحياة . . فإذا صرخ (نى) فإنه يعيش أما إذا صرخ « **مبى** » فإنه يموت .. ونعلم أيضاً كيف كان فى الإمكان معرفة جودة لبن الأم من رائحته . . وكيف يستطيع الإنسان زيادة لبن المرضعة ، وأن هناك وصفة كانت تعطى لتهدئة صراخ الأطفال الكثير . . **وكان الدواء الذى يحقق هذه المعجزة** مزيجاً من بذور نبات « شبن » ووسخ الذباب وكانت المادة الثانية لافائدة منها بطبيعة الحال – أما الأولى فربما كانت ناجحة المفعول وخاصة إذا كان نبات « شبن » هو نفس النبات الذى يستعمل الآن فى الصعيد لتنويم الأطفال ألا وهو **الخشخاش** (أبو النوم) .

– ومن العجيب أن سكان مصر الحاليين قد حافظوا على كثير من هذا الطب المصرى القديم الغريب حتى يومنا هذا .... فبالرغم من أن قروناً قد تعاقبت وأن البلاد قد مرت خلال أفظع الثورات ... وبالرغم من أن اللغة تغيرت مرة واحدة والديانة مرتين . . وبالرغم من أن الشعب قد فقد كل مايذكره بعظمته السابقة ... بالرغم من هذا **كله فإنه لم ينس**

بعد أن إفرازات الكلاب وعظام السمك هى أدوية ناجحة ، والمصريون القدامى كانوا يستعملون ضد جميع أنواع السحر مايلى ، كوقاية فعالة « جعل (جعران) كبير يقطع رأسه وأجنحته ويغلى ويوضع فى الزيت ويخرج ... ثم يطبخ رأسه وأجنحته وتوضع فى دهن أفعى وتغلى ويسقى المريض من هذا المزيج » .

– والآن عندما يريد المصرى الحالى أن يشفى « البواسير » فإنه يأخذ خنفساً سوداء ويقليها فى الزيت ثم ينزع أغلفة الأجنحة والرأس ويرطبها على نار خفيفة . فالوصفة هى هى بعينها فيما عدا أن دهن الأفعى استبدل هنا بالزيت العادى .

* **والأغرب من هذه الأمثلة تلك الخرافات التى انتشرت وذاعت فى أوربا .**

فى بردية طبية محفوظة بمتحف برلين وصفت الحيلة التالية للتيقن مما إذا كانت المرأة ستحمل أم لا : « البطيخ يدق وينقع فى لبن امرأة حملت ولداً . دع المرأة تأكله فإذا قاءته فإنها ستلد ، أما إذا انتفخ بطنها فإنها لاتلد » .

فهذه الوصفة الغريبة نفسها ذكرها هيوقراط نقلاً عن المصريين القدماء .

« خذ تيناً أو نبات بتروس Butyros ولبن امرأة حملت ولداً واجعل المرأة تشربه فإذا قاءت فإنها ستلد . أما إذا لم تقىء فإنها لاتحمل .

فهذه الوصفة لاتوجد حقًّا فى هيوقراط ولكنها قد انتقلت بطريقة ما إلى أوربا .

– فى كتاب جرىء يرجع عهده إلى القرن السابع عشر يقول **بيتر بوييه** Peter Boyer. مايلى : أحدث حفرتين فى الأرض وضع شعيراً فى إحداهما . وقمحاً فى الأخرى ثم اسكب فى كلتيهما بول المرأة الحامل وأهل عليهما التراب ثانية . فإذا مانبت القمح قبل الشعير فسيكون المولود ولداً أما إذا نبت الشعير أولا فيجب عليك أن تنتظر بنتاً .

* **كما أنه يوجد كتيب إنجليزى** مطبوع فى إنجلترا عنوانه « القابلة الخبيرة » . The Experienced Midwife

تظهر فيه هذه الوصفة المصرية القديمة بشكل يدخله شىء من التحوير . وهكذا نرى أن حكمة المصريين القدماء قد وجدت ملجأها الأخير عند **شيفر توماس** وزملائه .

– وهذه الوصفة تعتمد قبل كل شىء **على بردية إيبرس** الطبية ويرد مايشبهها تماماً فى نصوص « بردية برلين الطبية » وبردية هرست بجامعة كاليفورنيا – على أنه يوجد نص طبى رابع هو المعروف « **ببردية أدوين سميث** » محفوظة فى نيويورك ويختلف عن الثلاث البرديات السابقة بشكل يسترعى النظر – وهو وإن كانت معرفتنا به حتى الآن مأخوذة عن أبحاث مؤقتة . إلا أنه بالنسبة لمعلوماتنا العامة عن الطب المصرى القديم – بل عن العلوم المصرية – ذو أهمية كبيرة .

وكان الأطباء يتمتعون بمكانة طبية فى المجتمع المصرى ، وكان ينظر إليهم نظرة ملؤها التقدير والاحترام ، فقد لقب الفرعون «زوسير» باسم «سا» الشافى الإلهى ، وروى ماينثون المؤرخ المصرى القديم أن الملك «أثويتس» نجل الملك «مينا» ألف كتاباً فى التشريح وأن الملك «**أوزيفايوس**» حقق تقدماً كبيراً فى علم التشريح . وكان يسمى الطبيب العلمانى «سينو» والرمز الهيروغليفى لهذه الكلمة مكون من قنينة ومشرط ولم يميز بين الطبيب والطبيب البيطرى .

أما الأطباء الموظفون وهم أطباء البلاط والحكومة والجيش وكانت ألقابهم رنانة ، فمثلاً رئيس الأطباء يسمى «مدير بيت الصحة ورئيس أسرارها فى بيت الإله تحوت» ... ولا غرو فإن مثل هذه الألقاب كانت تخلع على كبار الموظفين حتى وقت قريب فى العهد العثمانى ، وكانوا يتقاضون مرتبات من الحكومة الأمر الذى جعل علاج الفقير مضموناً وكانوا يتبعون الجيش فى تحركاته حتى إنه نشأت فئة خاصة هى **فئة الأطباء** العسكريين — ولا يوجد أثر لأى وصفات «روشتات» يتركها الطبيب للمريض .. أما قطع الخزف «**أوستراكا**» التى وصفها «**جونكير**» فالغالب أنها كانت مذكرات كتبها طبيب عند زيارته للمريض للاسترشاد بها عند تحضير الدواء بعد عودته إلى منزله .. والظاهر أنهم إلى جانب أعمالهم الرسمية كانوا يزاولون مهنتهم من أجل الجمهور ويتقاضون منه أتعاباً غير ضئيلة .

* ومن جميل تقاليدهم أن الطبيب كان يقتطع جزءاً من أتعابه يخص به المعبد الذى تلقى فيه علومه الطبية .. وأشهر الأطباء المصريين « **ايموحتب** » ومعنى هذا الإسم « **الذى أتى سالماً** » وقال عنه « **سيروليام أوزلو** » إنه أول شخصية طبية ظهرت فى التاريخ البشرى .. وهنالك أيضاً ما يدل على وجود مساعدين أو ممرضين أو أخصائيين فى الأربطة والتدليك ، وكان يطلق عليهم اسم « **أوت** » وكان بعضهم للأحياء ، وبعضهم الآخر للموتى ، أى للتحنيط .

* أما من ناحية الزواج ... فكان الزواج فى مصر القديمة يتم بمجرد البلوغ ، الأمر الذى جنب المراهقين الكبت الجنسى وما يصدر عنه من عقد .. ولم يكن زواج الأخ من أخته محرماً فى مصر وكانت هذه العادة ممعنة فى القدم ، إذ يروى التاريخ أن « **أوزوريس** » تزوج من أخته « **إيزيس** » وأن « **نفتيس** » اقترنت بأخيها « ست » ومع أن تعدد الزوجات كان مباحاً فإن الظروف الإقتصادية كانت تحد منه بحيث كانت غالبية المتزوجين من المصريين القدماء يكتفون بزوجة واحدة .

علم الأمراض

قلنا إن الطب الفرعونى يبدو كأنه يحاول التحرر من السحر والتفكير اللاهوتى ليصبح علماً تجريبيًّا ، ولذا يمكن التمييز فى نظرتهم إلى المرض بين نوعين منه هما :

* **الأمراض الخارجية** ... **والأمراض الداخلية** ... وما زال هذا التقسيم إلى يومنا هذا ..

* إذ يسمى **الفرنسيون الجراحة** « بالباثولوجيا » الخارجية .. **والأمراض الباطنية** بالباثولوجيا الداخلية .. والسر فى تميزهم هذا هو نظرتهم إلى الصحة والمرض عامة منذ كانوا يعتقدون أن الروح خالدة لا تبلى إلا بالقتل وأن المرض لا يحدث إلا بتأثير عامل قاتل خارجى ، وهذا العامل قد يكون ظاهراً كالسلاح والنار أو خفيًّا .. أما علماء المكروبيولوجيا والكيمياء الحيوية فقد جعلهم هذا التفكير المبنى على السببية يعزون المرض الخفى إلى أرواح شريرة أو إلى أعمال سحرية أو إلى عقاب تفرضه الآلهة أو إلى ميت أو عدو .

* وإذا ما بحثنا عن أصول الطب البشرى فإننا نجد فى أول عهد كل حضارة عصراً ألّه ما أحاط به من معالم وأحداث وآمن بتحكمها فى كل دقيقة من حياته وبتدخلها فى كل خطوة منها ، فخلق السحر أو الطب

الفلكى أو الطب الكهنوتى أو مختلف ضروب العلاج الروحانى حسب الصورة التى صورها للكون لمحاولة التأثير عليها .

* وقد اختلف علماء السلالات فى النمو الذى تبعه الطب المصرى القديم فى أول أمره فمنهم من رأى أنه بدأ تجريبيًّا تابعاً لمقتضيات الحياة اليومية وأنه لم يصطبغ بالطابع السحرى أو الدينى إلا عندما استيقظ ذهن الإنسان فبدأ يتأمل فيما يحيط به . . ومنهم من قال على نقيض ذلك . إن الطب المصرى القديم بدأ بالسحر والشعوذة قبل أن يصنف الملاحظات الواقعية ، إلا أن المصرى القديم . . على عكس **الإغريق** . . كان بعيداً عن التفكير فيما وراء الطبيعة . . وعن النظريات الافتراضية ، واعتمد فى تشييد حضارته على تكديس الملاحظات الواقعية والاستفادة منها فأضاف بذلك خبرة عملية إلى فطنته الغريزية . . سرعان ما أدتا إلى تناقض بيّن فى أساليب تفكيره لبقاء رواسب متخلفة من الفكر العتيق ثابت ماحققته نزعته التجريبية . .

* وإذا ألقينا نظرة سريعة على **الصيدلة** أيام الفراعنة . . فقد بلغت شأواً عظيماً ، وقد دلت قراطيسهم البردية القديمة على أن كبار الأطباء المصريين القدماء كانوا يرسلون وصفاتهم إلى الصيادلة الكبار بمعبد إيزيس لدرايتهم بالأرواح التى تسكن النباتات الطبية . . كما كان الناس – الذين يعتقدون فى تلك الأيام – يقومون بتحضير الدواء ومايلزم فى أثناء ذلك من الشعائر الدينية والتعاويذ السحرية . .

* وقد كانوا يكتبون وصفاتهم مبينة بها العناصر باللون الأسود غالباً وأمامها المقادير باللون الأحمر . . وقد بلغ الإتقان بهم أن استعملوا الكسور الدقيقة فى تحديد المقادير مثل ١/١٦، ١/٣٢، ١/٦٢ من الوحدة المستعملة فى ذلك الوقت . .

* وأهم المراجع لدراسة تاريخ الصيدلة والدواء عند قدماء المصريين مايأتى :

١ – **ماورد فى التوراة عن عقاقير الفراعنة :**

وفى ذلك الباب كثير من الأدلة ، منها ما جاء فى **سفر أرميا** إذ يقول :

« يا عذراء بنت مصر . . تكثرين العقاقير لا رفادة لك » . .

وفى ذلك مايدل دلالة واضحة على أن المصريين القدماء كانوا يستعملون الأدوية والعقاقير بكثرة .

٢ – **أقوال المؤرخين القدماء** وهى كثيرة جدًّا وأهمها ما أورده « **هيرودوت** » خاصًّا بالعقاقير فى مصر ومنها قوله : « **إن مصر بلدة خصبة تخرج أرضها عقاقير كثيرة لايمكن إحصاؤها** » .

٣ – **آثارهم المحفورة والمكتوبة** وأهمها أوراق البردى المسماة بالقراطيس ، وكذلك اللوحة المحفوظة بالمتحف البريطانى تحت رقم ١٠٠٥٩ والتى يرجع تاريخها إلى عصر الملك خوفو أى منذ ٣٧٠٠ سنة تقريباً .

٤ – **آثار الدول المجاورة** الخاصة بعلم العقاقير . والتى اصطبغت

بالطابع الفرعونى القديم مما يدل على أنهم أخذوها عن المصريين القدماء . .

* ويروى بعض المؤرخين عنها أنهم كانوا يلقون ذوى الأمراض المستعصية فى الشوارع حتى إذا مر بهم من اعترته هذه العلة وشفى منها بعلاج سواء استعمله بنفسه أو استوصفه من غيره أنبأهم به فجربوه حتى إذا ما شفى به المريض كتبوا اسمه ومنفعته فى لوحة خاصة وعلقوها على جدران معابدهم وبهذه الطريقة بدأت فكرة « دساتير الأدوية » .

دساتير الأدوية

وقد روى « **بلينوس** » أنهم مبتدعو **فن الشفاء** ومكتشفو خواص العقاقير وأن ما اكتشفته « **إيزيس** » من الأدوية والعقاقير والتركيبات المختلفة لتخفيف متاعب آلام الإله « رع » . . كان أساس « **الصيدلة المصرية القديمة** » وكنز صيادلة الفراعنة .

* وقد قال « **هيرودوت** » إن المصريين كانوا يتعاطون الطب والصيدلة بتعقل فلم يكن أحد من هؤلاء يتدخل فى غير ما تخصص له . . وكانوا جميعاً أساتذة .

* وكان **قدماء المصريين يقدسون** النباتات وخصوصاً الطبية منها ، ولذلك كانوا ينسبونها إلى الآلهة فكانوا يسمون « **اللبلاب** » نبات أوزيريس . . « والبريانة » Vervain « دموع إيزيس » . . « والزعفران » دم توت « وبصل العنصل » « **عيون تيفون** » .

وقد استعملوا كثيراً من العقاقير التى لايمكن أن تكون من حاصلات مصرية مما يدل على اهتمامهم بالعقاقير الطبية . .

* هكذا كان الصيادلة المصريون القدماء . . أجهدوا أنفسهم فى البحث لاكتشاف حجر الفلاسفة وإكسير الحياة .

* وطبيعى أن يكون تقدم الصيدلة عندهم سابقاً لتقدم الجراحة

بحكم عقائدهم الدينية « **بخلود الروح** » وتقديس الجسد وحفظه ووجوب بقائه حتى ترجع إليه ، وبحث صيادلتهم المتوالى لحفظ هذه الأجساد من العطب حتى اخترعوا التحنيط الذى حفظوا به الأجسام آلاف السنين .

وقد اهتم علماء العصر الحديث بالبحث لاكتشاف العقاقير والمواد الكيمائية التى استعملها الفراعنة . . . لذلك توصل « **رويل** » إلى اكتشاف القار والحنظل وخشب الصندل والصبر والعسل والشمع والنطرون والملح والجاوى والشب من بين أدوية التحنيط الفرعونى . .

* وقد قال فى ذلك « **هيرودوت** » إنهم يستخرجون المخ ويستأصلون ما بقى منه بعقاقير يحشونها فى تجاويف الجمجمة ويفتحون البطن ويخرجون محتوياته ثم ينظفونه وينقعونه فى النبيذ والعقاقير العطرية . . ويملأونه بالمر النقى ومسحوق اليانسون . . وجميع العطور . . ما عدا الكندر ثم يضعون الجثة فى محلول النطرون سبعين يوماً » . .

* وقد وصل **الطب والصيدلة** فى أيام الفراعنة مركزاً يتمشى مع عظمتهم العمرانية وسيادتهم العلمية التى ظلت ما لا يقل عن أربعة آلاف عام أو أكثر . . زخرت خلالها جامعة عين شمس الفرعونية بطلبتها النوابغ :

* **وفى ذلك قال الطبيب الإنجليزى العظيم** : Bernard Dawson فى مؤلفه تاريخ الطب عند قدماء المصريين :

« وصل فن الطب والصيدلة عند قدماء المصريين إلى درجة عالية من

التقدم» . . وإن دراستهم الطويلة للصيدلة والطب مع ممارستهم لها هيأت للمصريين القدماء التبكير فى كثير من الاكتشافات الكيميائية . . وهكذا أصبح صيادلتهم ماهرين فى التعدين والصباغة والدباغة . . وصنع الزجاج والصابون والسبائك حتى أن كلمة «Chemistry» اشتقت من الاسم القديم لمصر وهو «Khemi» «**كيمى**» . .

* وقد تفنن المصريون القدماء . . فى طرق تحضير أدويتهم . . بأحدث الطرق العلمية الصيدلية . . فهم أول من استعمل اللبخات المحتوية . . على أكسيد الرصاص كما ذكر ذلك فى الوصفة نمرة ١٩١ من قرطاس هيرست واستعملوا الحقن الشرجية المسكنة المحتوية على منقوع الخشخاش كما ورد فى الوصفة نمرة ١٦٤ من قرطاس إيبرس . .

* واستعملوا «**الدوشات للرحم**» من عقاقير نباتية منقوعة فى لبن البقر وكذلك اللعوقات والغراغر لالتهابات اللسان والزور .

* وهم أول من عرف خواص المسهلات وقسموها إلى فرق، وأول من استعمل الدهانات العطرية لإزالة الروائح الكريهة من جسم الإنسان . . . وإليك وصفة من أهم مستحضراتهم لتعطير فم السيدات : —

«مر ناشف — كندر — ماستكة — وينسون — ودارصوص — بكميات متساوية تصحن جيداً وتمزج ثم تصحن بالعسل وتقسم أقراصاً» Tablets.

* وكان لملوك الفراعنة ولع شديد باستجلاب **النباتات الطبية** وغيرها من البلدان الأخرى . . وقد وجدت بعض النقوش فى معابد الدير البحرى تذكر أن الملكة « **حاتشبسوت** » أرسلت عام ١٧٠٠ ق.م بعثة إلى بلاد الصومال استجلبت ٣٠ شجرة من المر لتزرع فى طيبة وكذلك مقداراً عظيماً من المر . . وتذكر بعض النقوش أن الملك **تحوتمس الثالث** أوفد الكثير من البعثات لاستجلاب أصناف النبات من سومطرة .

* **الحقن والتخدير الموضعى . . من ابتكار قدماء المصريين :**

* **الحقن** . . هى اختراع مصرى . . وكان الكهنة المحنطون يستعملونها لإدخال السوائل فى الرأس . وفى التجاويف الأخرى فى الجثة كما كانوا يستعملونها فى أغراض أخرى مما ظهر لنا أثناء دراسة القراطيس الطبية . .

* **التخدير** . . لمعرفة الأدوية التى كانوا يستعملونها فى التخدير . . نرى أن « **بلينى** » : قال إنهم استعملوا ما كانوا يسمونه « **ممفتيس** » Memphitis وهذه حين تسحق وتمزج بالخل تخدر موضعها . حتى إنه قد يقطع أو يكوى دون ألم . . وقد أشار « **ديوسكوريد** » إلى نفس الأمر وذكر أن حجر ممفيس الذى يحتوى على هذا المسحوق كان دسم الملمس ذا ألوان مختلفة وبعد أن كان مشهوراً بمنافعه ، نُسِىَ وبطل استعماله ، ومن الممكن تفسير هذه الظاهرة :

* « فإن العلوم الحديثة أبانت عن الفعل المخدر لحمض الكربونيك

٢٣

ولما كان الرخام مركباً من كربونات الكالسيوم وهذا يتأثر بحمض الخليك الموجود فى الخل . . فالمصريون القدماء استعملوا الرخام المسحوق من ممفيس وأضافوا إليه الخل . . وبذلك استطاعوا أن يستفيدوا من تأثير حمض الكربونيك . . الناتج من التفاعل الكيماوى . . أثناء صعوده فى إحداث التخدير الموضعى . .

البرديات الطبية

توجد برديات طبية كثيرة تتفاوت فى أهميتها ويمكن تقسيمها إلى نوعين ، أحدهما نستطيع أن نطلق عليه لفظ المؤلفات الطبية . . والنوع الآخر تلك المجموعات من الرقى والتعاويذ السحرية النافعة ، حسب اعتقاد المصريين القدماء فى طرد الأمراض من الجسم ، ومما يؤسف له أننا لا نعرف أسماء أشخاص معينين كتبوا مؤلفات معينة ، فقد ورد ذكر بعض الآلهة والملوك القدماء والحكماء مثل إيموحتب بأنهم وضعوا كتباً طبية ولكننا لا نملك حتى الآن الدليل القاطع على نسبة جزء مما وصل إلينا من البرديات الطبية إلى واحد منهم .

أما تاريخ كتابة مثل تلك المؤلفات الطبية فى قراطيس البردى فيرجع على الأقل إلى الجزء المبكر من أيام الدولة القديمة كما يرجع بعض البرديات التى وصلت إلينا إلى أيام الدولة الوسطى . . وليس لدينا أى شك فى أن أجزاء كثيرة من البرديات الشهيرة التى وصلت إلينا نسخ منها من أيام الدولة الحديثة إنما نقلت عن برديات أقدم منها عهداً ، وعلى أى حال يمكننا القول بأن أكثر البرديات الطبية المعروفة الآن قد كتبت نسخها فى الفترة الواقعة بين عامى ١٨٠٠ ، ١٢٠٠ ق.م .

وهناك عدد كبير من أجزاء صغيرة من برديات طبية فى مجموعة

خاصة وفى بعض المتاحف مثل باريس وتورين وبودابست وروما (متحف الفاتيكان) ولندن وبرلين وكثير منها ثانوى الأهمية لأن أكثر ما فيها تعاويذ سحرية .

* وأهم البرديات الطبية التى ترجع إلى أيام العصر الفرعونى تسع وهى :

١ — بردية أدوين سميث الجراحية .

٢ — بردية إيبرس .

٣ — بردية برلين الطبية ، ويرجع تاريخها إلى أيام الأسرة التاسعة عشرة وتحتوى على ٢٠٤ فقرات ، وتشبه فى مجموعها محتويات برديتى إيبرس وهارست .

٤ — **بردية تشستر بيتى** الطبية Chester Beaty وهى فى المتحف البريطانى الآن ، ويرجع تاريخها إلى أيام الأسرة التاسعة عشرة وتحتوى على وصفات طبية وتعاويذ سحرية . . وعلى أحد وجهيها عدد من الوصفات المختلفة لعلاج الأمراض التى تصيب الدبر والمستقيم .

٥ — **بردية «كارلزبرج»** وهى محفوظة الآن فى متحف كوبنهاجن ويرجع تاريخ هذه النسخة إلى حوالى عام ١٢٠٠ ق.م وموضوعها فى طب العيون ، وتكاد تكون صورة من القسم الخاص بباب أمراض العيون فى بردية إيبرس .

٦ — **بردية كاهون** عثر عليها فى أطلال مدينة هرم اللاهون بالفيوم

عام ١٨٨٩ ، ويرجع تاريخها إلى أيام الدولة الوسطى ، أى أنها أقدم البرديات الطبية . وفى أحد أجزائها ذكر مؤلف البردية سبع عشرة علامة للتأكد من الحمل وبيان نوع الجنين .

٧ – **وبردية لندن الطبية** .. وهى الآن فى المتحف البريطانى ، ويرجع تاريخها إلى النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشرة .. ومن المعروف عن هذه البردية أنها مكتوبة بخط ردىء بحيث يصعب قراءة بعض فقراتها وكلها خاصة بالتعاويذ السحرية التى تنفع فى شفاء بعض الأمراض .

٨ – **بردية ليدن** .. وتمتاز هذه البردية بأن مؤلفها ذكر عدداً من القواعد للوقاية من الأمراض ووقف تطورها كما ذكر أيضاً وسائل منع انتشار العدوى ..

٩ – بردية هرست Hearst وقد عثر عليها عام ١٨٩٩ فى الخرائب الغربية من بلدة دير البلاص بمحافظة قنا ، وهى محفوظة الآن فى متحف جامعة كاليفورنيا .. وعلى الرغم من تمزق حواف هذه البردية فإنها محفوظة جيداً وبها ٢٥٠ فقرة .. وهى على الأرجح من أيام الملك **تحوتمس الثالث** ، وأكثر ما جاء فيها منقول من الكتاب الأصلى الذى نقل عنه جامع محتويات بردية إيبرس .

وإلى جانب هذه البرديات الشهيرة التى يرجع تاريخها إلى العصر الفرعونى نجد برديات طبية أخرى من عصور أحدث عهداً ربما كان

أشهرها جميعاً البردية المعروفة ببردية لندن – ليدن – الديموطيقية مكتوبة بالديموطيقية ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث الميلادى وأكثرها تعاويذ سحرية لشفاء المرضى ، ولكن يوجد بها عدد قليل من الوصفات الطبية لعلاج بعض الأمراض ..

* وهناك أيضاً برديات مكتوبة باللغة القبطية وأهمها البردية المشهورة باسم « **بردية المشايخ** » لأنها عثر عليها فى القرية المعروفة بهذا الاسم فى محافظة سوهاج ، ويرجع تاريخها إلى أيام القرن التاسع أو القرن العاشر الميلاديين ، ونرى أنها مدونة على نفس النظام والأسلوب اللذين كانا فى أيام الفراعنة ، ولكن دخلتها أيضا بعض التأثيرات والعناصر اليونانية والعربية ، وهناك أيضاً عدد آخر من برديات طبية مكتوبة باللغة القبطية ولكنها أقل أهمية ، وهى فى متاحف أوربا وأمريكا المختلفة .. وقد عنى العالم الألمانى «**ف . تل**» بدراسة الطب فى العصر القبطى سواء ما كان مكتوباً باللغة القبطية أو باللغة العربية ، وخرج من ذلك بنتيجة هامة وهى أن الأقباط لم ينقلوا نقلاً حرفيًّا عن أجدادهم فى العصر الفرعونى بل أضافوا الشيء الكثير وكانت لهم طرق أخرى ووصفات خاصة فى علاج بعض الأمراض .

* **بردية أدوين سميث الجراحية :**

عثر على هذه البردية الشهيرة عام ١٨٦٢ مع بردية «إيبرس» الطبية

وهى الآن فى حيازة الجمعية التاريخية فى نيويورك حيث ظلت تفصيلات محتوياتها مجهولة حتى قام بنشرها وترجمة نصوصها العالم الأمريكى « برستد » (جيمس هنرى) فى عام ١٩٢٢ وطبعت مرة أخرى فى عام ١٩٣٠ وكان طولها فى الأصل نحو ثمانية أمتار لم يبق منها إلا ٤,٥٨ أمتار تحتوى على ٤٦٩ سطراً .. ويرجع تاريخها مثل بردية إيبرس إلى منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد .

ويشمل الجزء الأول منها ٤٨ مشاهدة فى الجراحة وبخاصة جراحة العظام مقسمة تبعاً لأجزاء الجسم ، إذ تبدأ من الرأس ثم الأنف وبعد ذلك يأتى الفك ويليه فقرات الرقبة وفقرات الظهر ثم الأضلاع ثم الصدر فالترقوة فالكتف واللوح واليدان ، ويأتى بعد ذلك العمود الفقرى ، ونظراً لأن العبارة الخاصة بالعمود الفقرى غير كاملة ، فمن المرجح أن البردية كانت كاملة وأنها لم تقتصر على أعضاء الجسم السابقة بل كانت تتناول الجسم كله .

* وفى رأى « **برستد** » أن هذا الجزء من البردية أقدم ما كتب فى الجراحة فى العالم ، كما أن المختصين فى تاريخ الطب يعتبرونه نقطة التحول بين فن العلاج وعلم الطب ، وذلك لأن محتويات هذه البردية تثبت أن مؤلفها لم يكن شخصاً يؤمن بالسحر أو بالكهانة بل كان طبيبا يراقب مرضاه الليالى الطويلة ويرقب ويبوب ما يلاحظه عليهم أثناء المرض ، بل إنه كثيراً ما كان يشرح الجسم بعد الوفاة لمعرفة السبب . وكان الرأى السائد

هو أن مؤلف هذه البردية حصل على معلوماته من إحدى الحروب بل كان هناك ميل إلى أن هذه الحرب كانت حرب طرد الهكسوس من مصر ، ولكن هناك رأياً آخر تقدم به العالم المصرى الدكتور محمد كامل حسين جراح العظام الشهير ، وهو يرجح أن مؤلفها كان يشرف على معالجة العمال الذين كانوا يقومون بتشييد أحد الأهرامات والذين كانوا يتعرضون بحكم عملهم للإصابات المختلفة .. وإلى جانب هذا الجزء من البردية توجد أجزاء أخرى ، مثل علاج أمراض المستقيم ، ومنها أيضا تعاويذ سحرية مختلفة ، كما توجد فيها وصفة خاصة لدواء يعيد الشباب إلى الشيوخ ..

بردية إيبرس :

* أشهر البرديات الطبية وأطولها . عثر عليها عام ١٨٦٢ وحصل عليها الدكتور (إيبرس) Ebers عالم الآثار الألمانى المعروف عام ١٨٧٣ وحملها معه إلى **جامعة «ليبزج»** وكان أول من نشر نصوصها (ظهرت عام ١٨٧٥) وهى ما زالت حتى الآن فى حالة جيدة ، وعلى أحد وجهيها النصوص الطبية والسحرية الشهيرة وعلى الوجه الآخر نصوص خاصة بالتقويم المصرى .

ويرجع تاريخ كتابة هذه البردية إلى بداية الأسرة الثامنة عشرة القرن ١٦ ق . م ، ولكن دراستها من الناحية اللغوية لا تترك مجالا للشك فى أن

كاتبها جمع ما فيها من عدة برديات طبية من عهد الدولة الوسطى وربما قبل ذلك .

* ليست بردية « إيبرس » كتابا طبيامقسماً إلى أبواب وفصول ولكنها مجموعة من أكثر من أربعين مصدراً مختلفاً يتناول بعضها وصفات طبية لبعض الأمراض وطريقة فحصها ومعالجتها ومن بينها عدد كبير من أمراض النساء ، كما نجد فيها الكثير من التعاويذ السحرية التى ذكر عنها صاحب البردية أنها تنفع فى شفاء بعض الأمراض وطرد الأرواح الشريرة التى سببتها ، والبردية تحتوى على ١١٠ من الأعمدة وفيها ٨٧٧ وصفة أو باباً فى الأمراض المختلفة تعرف أسماء أكثرها فى اللغة المصرية القديمة ، ولكن المصريين لم يضعوا تشخيصاً محدداً لها ، ولهذا السبب ما زلنا حتى الآن غير متأكدين من أسماء بعضها ، إلا أنهم كانوا يصفون دائماً العلاج ويحددون كمية كل دواء يذكرونه وطريقة تناوله .

* وقد أثبتت دراسة هذه البردية أن بعض أجزاء منها مقتبسة من مؤلف طب كبير نجد أجزاء منه فى برديات طبية أخرى مثل بردية « **أدوين سميث** » و « **بردية كاهون** » ، ومعظم تلك الأجزاء المقتبسة والتى توجد فى هذه البردية خاصة بأمراض المعدة ووظيفة القلب وأوعيته والعمليات الجراحية الخاصة بالأورام والبثور والدمامل .

السحر : بلغ السحر من عقيدة المصريين أنهم كانوا يستعينون به جميعاً على كثير من شئونهم الدينية والدنيوية معاً ، وأن الساحر كان

عرضة للمحاكمة والعقوبة الصارمة إذا ثبت بغيه بسحره على أحد فلقد حوكم السحرة الذين اشتركوا بسحرهم فى التآمر على حياة رمسيس الثالث . . فأعدم من أعدم وانتحر من انتحر قبل إنزال العقوبة به على جرمه ، وذلك لما بثوا فى القصر من كتابات سحرية ودمى من شمع كتبوا عليها من العزائم مايشل أعضاء من تمثلهم ومايعجزهم تسهيلاً لتنفيذ المؤامرة ، وكان السحر يعتمد على صيغ وألفاظ خاصة يظن أن فيها القوة على تحقيق الهدف المأمول . . ولم يكن الطب عندهم ولا الشعائر الجنزية أو جلب منفعة أو دفع مضرة أو استنزال نقمة على عدو أو كسب مودة حبيب ليخلو من أعمال السحر ، وكان الساحر يكتسب القوة والسلطان على الشخص أو الشيء عن طريق اسمه ، فلقد روى أن « إيزيس » لم تستطع التسلط على رع إلا حين عرفت اسمه الخفى بعد أن حملته على البوح به . . ولذلك كله فقد كثرت التعاويذ والرقى التى تشفى الملدوغ من سم العقرب أو تقى من خطر الثعابين أو تحصن من الأمراض أو تحمى من أشباح الموتى ، وكان السحر يتوسل فى كل أمر من الأمور بالآلهة التى اشتهرت بقدرتها فى ذلك الأمر ، وكان يتوسل بالآلهة « **باستت** » على لدغ العقرب وبأوزيريس الذى لبثت جثته فى الماء حماية الآلهة ضد التماسيح ، وما زلنا حتى اليوم نتوسل بولى الله الرفاعى على الثعابين . . لما نعتقد من سلطان له عليها . . ولقد أكثر المصريون من لبس التمائم لاعتقادهم فى حمايتها ، وكانت الحية الناشرة التى على جبهة الملك فى

تاجه تحميه من أعدائه بما تنفث من سم كالنار. ولقد كان الموتى فى حاجة إلى الحماية مما عسى أن يصيبهم من صور الحيوان التى ترد فى النصوص المنقوشة فى القبور، لذلك صورت مقطعة أو مجزوءة إذ لم يكن إلى تجنبها من سبيل، كما كانت تماثيل الأوشبتى (الشاوبتى) خليقة بأن تدب فيها الحياة فتسرع إلى إجابة الميت يوم النشور إذا دعاها إلى العمل، وكان من أهم أعمال السحر تأليف القلوب، إذ كان الشاب لجلب محبة الجميلة النافرة يستصنع الساحر طلسماً يقضى على بخلها بالوصال حيث يكتب «اجعل فلانة تتبعنى كما يتبع الثور علفه.. وكما يتبع الراعى قطيعه».. وكانت الفتاة تستكتب لفتاها الذى تهواه تميمة تقول فيها «قم واربط من أنظر إليه ليكون حبيبى». وكانوا يتكهنون بالغيب ويتطلعون إلى ما وراء حجبه بوساطة صبى ينظر فى آنية مملوءة ماء وطبقة من الزيت حيث يؤمر بالتحديق فيه حتى يرى فى الوعاء ضوءاً يكون بشيراً بالاتصال بالآلهة التى تمكن الساحر من كشف ما يريد من أسرار. وما زالت تلك الوسيلة التى انحدرت إلينا منذ القدم قائمة بيننا فيما نسميه اليوم «بالمندل»...

هكذا كان الطب الفرعونى قد بدأ فى أول أمره عمليًّا عن طريق التجارب التى اقتضتها ضرورات الحياة اليومية، وكان يضاف إلى حصيلة هذه التجارب ما تثبت فائدته ويستغنى به عما يلحق الضرر، وكان هناك اعتقاد بوجود أرواح خبيثة تتسبب فى وجود الأمراض، ولهذا كان

الطب فى أول أمره متصلا بالدين ومتمشياً مع السحر وكان معظم الأطباء من الكهنة المطهرين « **وعب** » ومنهم من كانوا « مشرفين على كهنة الوعب » وكان الطبيب فى الغالب يباشر أعماله الطبية بجانب بعض الأوعية والرقى لحماية المريض من الأرواح الخبيثة . ويمكن أن تعد نوعاً من أنواع الإيحاء بالشفاء . إذ تؤكد النصوص المصرية أن لبعض الآلهة تأثيراً على أعضاء الجسم . . ونحن نجد أن رع إله الشمس على سبيل المثال . . قد اتخذ الوجه مكاناً له ، واحتلت حات حور إلهة الحب العينين وفضل أنوبيس إله التحنيط الشفتين واستقر تحوت إله العلم فى باقى أعضاء الجسم . . وقد أتت هذه الفكرة من الأساطير الدينية . وهكذا أصبح الإله الذى يتغلب على الثعبان خبر مصل له . والإله الذى يتغلب على لدغ العقرب يصبح خبر دواء له وهكذا . .

وتحتفظ المتاحف العالمية فى كل من باريس وليدن ولندن وبرلين وتورين ببعض البرديات الطبية التى ألقت الضوء على دراسة الطب عند المصريين القدماء . . وقد أخذت هذه البرديات اسمها من أسماء الذين حصلوا عليها أو أسماء الأماكن التى توجد فيها الآن . .

وهذا يجرنا إلى الحديث عن مجموعة من التعاويذ السحرية والطقوس والأناشيد الدينية والشعائر الجنائزية ، وأجزاء من بعض الأساطير المصرية القديمة وجدت منقوشة لأول مرة على جدران ممرات وحجرة دفن آخر ملوك الأسرة الخامسة ، الملك « أوناس » — القرن ٢٥ قبل الميلاد —

وهى مانطلق عليها اصطلاحاً « **متون الأهرام** » ولا يدل هذا على أنها ألفت فى عهد هذا الملك ، فهى قد تضمنت عقائد وأحداث عصور أقدم ، بل وإشارات إلى **خصومات كانت قائمة** بين ملوك الوجهين البحرى والقبلى . مما يؤكد أن هذه الفقرات إنما ترجع إلى ماقبل عهد الاتحاد الثانى ، أى قبل القرن ٣٣ قبل الميلاد – على أن من هذه المتون ما ألف فى عهد الدولة القديمة نفسها ، فهناك مثلاً فقرات تتحدث عن حماية الهرم . لاشك أنها وجدت بوجوده ، ويبدو أن هذه المتون قد تفرقت قبل عهد أوناس ما بين صفحات البردى وصدور الكهنة ، فاتجهت الرغبة فى عهده لنقشها داخل هرمه ربما لكي يستفيد منها فى العالم الآخر . ولكى تيسر له التمتع بآخرة سماوية سعيدة يتمناها ويهدف إليها . كما وجدت متون الأهرام منقوشة أيضاً داخل أهرامات كل من ملوك الأسرة السادسة **تيتى وبيى الأول** ومرنرع الأول وبيى الثانى ونقشت أيضاً داخل أهرامات زوجات بيى الثانى الثلاث أيوت ونيت وأوجبتن ، وأخيراً وجدت محفورة داخل هرم ملك يدعى « ايبى » وهو ملك غامض لايعرف تاريخه على وجه التحقيق (ربما يرجع للأسرة السابعة أو لأواخر الأسرة السادسة) وقد قسمها العالم الألمانى « زيته » إلى ٧١٤ فقرة . ويتم اختيار بعضها بواسطة الكهنة فهى تختلف من هرم إلى آخر ، بمعنى أن الكهنة كانوا يفضلون بعض النصوص على بعضها الآخر ، فالنقوش الموجودة داخل هرم « أوناس » وهو أقدم الأهرامات التى تحتوى على

تلك المتون تتحدث بإسهاب عن سعادة الملك فى آخرته السماوية ، وهى تختلف عن المتون التى نقشت على جدران أحدث الأهرامات عهداً بالمتون ، وهى الموجودة فى هرم « إيبى » الذى نقشت فيه الكثير من النصوص التى ظهرت بعد ذلك على التوابيت وعرفت بنصوص التوابيت .

والهدف من متون الأهرام : هو ضمان سعادة الملك وتمتعه بآخرة سعيدة فى العالم الآخر ، فتوضح النصوص للملك المتوفى « أنك تدخل أبواب السماء التى حرمت على المواطنين » أو تقول له « لقد فتحت لك أبواب السماء التى تصد الناس عنها » . كما تتحدث المتون عن الآخرة النجمية ، أى أن يتحول الملك المتوفى إلى نجم من تلك النجوم التى « لاتفنى » والتى توجد فى الجهة الشمالية من السماء ، وربما يكون المقصود بهذا مجموعة النجوم التى تحيط بالنجم القطبى والتى لاتغيب ، ولهذا نجد مدخل الأهرامات غالباً فى الجهة الشمالية وذلك لصعود الروح إلى هذه النجوم ، ثم تتحدث أيضاً عن الآخرة الشمسية والتى يتحول إليها الملك ، أى يصبح إله الشمس أو يكون فى ركابه ، **ولعل هذا يوضح الأسباب** التى أدت إلى اختيار الشكل الهرمى ليكون المثوى الأبدى للملك والذى يرمز إلى الـ « بن » أى « الرمز المقدس لإله الشمس » وبانتقال الملك إلى مملكته الجديدة فى السماء تقوم الآلهة نفسها بخدمته ويعيش فى رعايتها .

طرق العلاج الجراحي

صُورت نقوش مصرية قديمة وجدت فى مقبرة لأحد كبار القوم بسقارة نقلت عن والش Walsch وهى من عهد جلالة الملك « **تتى الثانى** » أول ملوك العائلة السادسة ، أى حوالى ٢٦٠٠ سنة قبل الميلاد . . وذلك قبل كتابة قرطاس إيبرس الطب بنحو ألف سنة تقريباً . . ولأهمية النقوش الطبية الموجودة فى هذه المقبرة . . يجدر بنا أن نسميها الآن . . المقبرة الطبية . وفى تلك النقوش يشاهد أعلاها أحد الأطباء يعالج اليد اليمنى للمريض ويظهر على وجه المريض الألم والوجع . . ويشاهد أسفل الشكل صورتان لعمليتين إحداهما تمثل علاج يد والأخرى علاج قدم المريض ، ويلاحظ أن المريض فى كلتا الحالتين واضع إحدى يديه تحت إبطه لعدم تعطيل أعمال الطبيب ، ولا يمكن التحقق من نوع العلة التى تعالج فى تلك الأشكال . .

* ومما يدعو إلى الزهو حقًّا العثور على صيدلية مخصوصة لتحضير العقاقير وفيها جميع الأدوات اللازمة لها مثل الهاون والمصفاة ومحل غلى الدواء . . وهى على هيئة صيدلية قديمة . .

(نشرت عن مجلة (Biologie Medicale)

* ومما يدعو إلى الدهشة حقًّا العثور على آلات جراحية حفرت على

جدران معبد كوم أمبو الذى يبلغ تاريخه ٦٠٠٠ سنة ق . م . . ويلاحظ أنها مقسمة أفقيًّا إلى أربعة أقسام :

١ – يشمل من اليمين إلى اليسار . . قرنين يستعملان للحجامة ثم مجموعة إبر كل منها تحتوى على ثلاث إبر . . ربما كانت تستغل للوشم ثم إبرة فمجبس أو قسطرة أو مسبر وآلة كى . . ثم آلة كى أخرى . . ثم مسبر ومجبس أو قسطرة أو مسبر ، ثم آلة غليظة الوسط رفيعة الطرفين يليها آلة كى .

٢ – يشمل يد هاون بميزاب أسفله هاون بدون ميزاب ويليه مبضع صغير بحدين أسفله آلة كى صغيرة ثم جفت ثم مبضع كبير بحدين ثم زجاجة صغيرة للدواء أسفلها ثلاث ملاعق . . ثم مبخرة وبأسفلها مخرازان .

٣ – تحتوى على ميزان بكف أسفل زهر اللوتس والبشنين إشارة إلى الوجهين البحرى والقبلى . . يلى ذلك تعاويذ على شكل عينين أسفلهما قرن كان يستعمل للحجامة ثم آنيتان للعقاقير . . ثم جفت موسط الرأس منحنى المقبضين لمنع الانزلاق : جفت مستدير الرأس مستقيم اليدين .

٤ – وفيه أيضاً مشرطا سلاح ، ثانيهما أكثر دوراناً من الأول ، ثم إبرتان ، فحوض مزدوج أسفله كرة خيط ثم مقص بلولب ليس له مقابض ثم كأسان لعمل الحجامة . .

ويقـــول بلينى Pline وديسكـــوريد Dioscoride إن قـــدماء

المصريين كانوا يستعملون البنج أثناء العمليات الجراحية . . وذلك بسحق حجر يؤتى به من مدينة منف ويمزج ببعض الخل ثم يوضع فوق المحل المراد فتحه فيزول الألم وقت العملية . . وذلك لأن حمض الخل يؤثر على مسحوق الحجر المذكور ويولد غاز الفحم فى حالة تعرف كيماويًّا باسم Nascent وهذا الغاز يخدر الموضع تخديراً مكانيًّا . .

* وورد أيضاً فى القصة القديمة المصرية عن هلاك العالم بواسطة الشمس أن المعبود « رع » قال مخاطباً المعبودة « سخمت » سأصنع لك شراباً من هذه الفاكهة المنومة تشربينه كل سنة حتى تمتنعى عن سفك دماء البشر ، ومنه يستنتج أن قدماء المصريين كانوا يستعملون النباتات المخدرة . . كما ورد فى مقبرة الملك « سيتى الأول » وكان المصريون يخصون بعض الجناة عقاباً لهم ، إذ جاء ذلك ضمن رواياتهم . (نشرت فى مجلة (Biologie Medicale) .

طرق العلاج

وصفة نمرة ٥٤٦ ، ٥٤٧

صورة طبق الأصل لنص مصرى قديم بعد فون ميل (Von Oefele) ورد فى قرطاس ايبرس تحت وصفة نمرة ٥٤٦ و ٥٤٧ هذا نصه بالخط الهيرغليفى.

طرق العلاج (١)

وصفة نمرة ٥٤٦ : علاج آخر لدرء المكوكي ؟ (السرطان ؟) من أى عضو فى الإنسان :
دهن الأرز ١ زبادى ١ خشخاش ١ لسان الحمل ١ صدأ الرصاص ؟ ١ ماء مغلى يصحن ناعماً ويمزج معاً ويدهن به .

طرق العلاج (٢)

وصفة نمرة ٥٤٧

٥٤٧ غيره : – ملح بحرى ١ عجين ١ نطرون أحمر ١ زيت ١ يدهن به مراراً .

النيل . . صانع الحياة

إن مصر بتضاريسها وطبوغرافيتها الحالية ليست إلا نتيجة لتغيرات متعددة بدأت منذ العصور الجيولوجية القديمة . . فنى عصر الميوسين كانت مياه البحر المتوسط تصل إلى مناطق تقع إلى الجنوب من إسنا – أى كان القطر المصرى قاعاً للبحر ، ولكن حدث فى العصر الأوليجوسينى تغيرات جيولوجية أدت إلى انحسار مياه البحر وظهور أرض القطر المصرى . وفى عصر الميوسين اتصل البحر الأحمر بالبحر المتوسط ، ولكن لم يأت آخر هذا العصر حتى حدثت هزات أرضية فصلت البحرين بعضها عن بعض وجعلت النيل يصل إلى البحر المتوسط وكان هذا الاتصال يقع عند موقع القاهرة حاليًّا وذلك بعد أن كانت مياهه تندفع فى روافد متعددة لم يبق منها غير آثار مجاريها فى الوديان شرقاً وغرباً .

وفى عصر البليوسين حدثت هزة أرضية كبرى أعادت اتصال البحرين ببعضها بعضا ، وحدث هذا الاتصال بوساطة ممر ضيق بقى منه بعد ذلك خليج السويس والبحيرات ، أما النيل فقد أخذ يلقى برواسبه من الغرين الذى تحمله مياه فيضانه من جبال الحبشة فى الفجوة التى كان يصب فيها شمال القاهرة حليًّا وبدأت الدلتا تتكون وكان للنيل فيها

مايقرب من عشرة فروع . .

وعندما بدأ عصر حضارة الإنسان فى الألف العشرين قبل الميلاد وكان النيل لا يزال يحاول شق مجرى له وملأت مياهه الوادى ووصلت شرقاً وغرباً إلى مسافات طويلة فى حين انكمش خليج العقبة إلى ما يقرب من شكله الحالى ، مع أن نهايته كانت تصل إلى منخفض البحر الميت فى فلسطين . أما خليج السويس فقد وصل إلى ما هو عليه الآن تقريباً ...

هكذا كان النيل هو صانع الحياة على أرض مصر صنعها منذ أن عرف طريقه إلى البحر المتوسط فى نهاية العصر الحجرى القديم ومنذ أن أخذ يجلب الغرين فى كل عام يكسو به أديم الأرض فيكسبها الخصب وتدب فيها الحياة . وإذا كانت العبارة المأثورة «**مصر هبة النيل**» تتردد على الألسنة عن «**هيرودوت**» فقد سبقه إليها «**هيكاثيوس الملطى**» وسبقهما المصرى القديم نفسه فتغنى فى صلواته وتراتيله إلى ذلك الإله العظيم الخير الذى يأتى فى كل عام ليفيض على الأرض بمياهه ثم ينحسر عنها ليهب المصرى إليها يحرثها ويبذر الحب فتبدأ الحياة بين أفراح القوم وابتهالاتهم . عرف الإنسان الأول طريقه إلى وادى النيل عندما قل المطر فى شمال أفريقيا وتحولت المراعى الخصبة إلى صحارى جرداء وفى وادى النيل تحولت حياة الإنسان من التجوال إلى الأستقرار وتعلم الزراعة التى دفعته إلى التعاون مع من حوله من الناس ، واتجه المصرى القديم إلى النيل نبع الحياة فاتخذ من أعواد نباته مسكناً له ومن طينه كساء لهذا المسكن ،

ثم تعلم كيف يصنع الطوب ليبنى مساكن أكثر ملاءمة لأغراضه ومن طمى النيل صنع المصرى أوانيه الفخارية ومن سمكه تغذى ومن نباته صنع الفلك وتنقل بها على صفحته من مكان إلى مكان ، أى أن النيل كان منذ أقدم العصور محور كل شىء فى حياة ذلك الإنسان الذى أتى واستقر فى وادى النيل الأسفل ، ولا شك أن هذا الإنسان قد أدرك منذ البداية الدور الكبير الذى يلعبه هذا النهر فى حياته ، ولا غرابة إذا ما رأينا المصرى القديم يقدس النيل ويجعل منه إلهاً يجلب الخير ويحيى الأرض الموات ، واعتقد المصرى أن النيل محور العالم ومن حيث أتى النيل كانت بداية هذا العالم ، ولذلك اتجه المصرى القديم إلى الجنوب منبع الحياة وأينما كان اتجاه النيل فقد كان الخط الذى يفصل بين الشرق والغرب .

وكان المصرى يطلق على النيل اسم « **ايترو – عا** » أى النهر العظيم ، أما لفظة « **النيل** » فهى تصحيف للفظة « **نيلوس** » التى أطلقها اليونانيون على هذا النهر – ومنذ عصر الأسرة الخامسة والعشرين كان المصرى على يقين من أن أمطار السودان لها دخل فى مياه النيل ، إلا أنه احتفظ بعقيدته القديمة التى تقول بأن النيل ينبع من جزيرة « **بيجة** » من كهف فيها .

* أما النيل كإله فقد أطلق عليه المصرى القديم اسم « **حعبى** » ولم يكن « **حعبى** » هذا هو اسم النهر المقدس وإنما كان ذلك الإله أو الروح التى تكهن وراء هذا النهر العظيم والتى تدفع بمياه فيضه حاملة

الخصب والنماء ، وصور المصرى هذا الإله ، هيئة صياد السمك يلتحى باللحية التقليدية للآلهة ، له ثديا امرأة وبطن مترهل ، ومن الغريب أن هذا الإله قد تبوأ رغم ما أطلق عليه من صفات وألقاب – منصب الخادم للآلهة فكان يصور على جدران المعابد فى صورته هذه يقدم خيراته إلى الآلهة الكبرى وكانت ترتل له الأناشيد فى المناسبات الخاصة ، وفيها يمجد وتعدد أفضاله على مصر ، ونقتطف هنا جانباً من تلك الأناشيد :

« ألحمد لله يانيل ، ويا من تخرج من الأرض وتأتى لتغذى مصر . .

أنت النور الذى يأتى من الظلام . .

عندما تفيض يقدمون لك القرابين وتذبح لك الماشية ويقام لك احتفال كبير .

وأطلق المصرى كثيراً من الصفات على هذا الإله فقد كان رب الرزق العظيم ورب الأسماك وخالق الكائنات وواهب الحياة ووالد الأرباب ، وغير هذا من ألقاب التعظيم ، كما نظم المصرى الكثير من الأناشيد التى كانت ترتل فى الأعياد فيقول بعض منها « هو الذى يذهب فى وقته ويأتى فى وقته الذى يحضر الأكل والمؤن ، هو الذى يأتى بين الأفراح ، المحبوب جدًّا رب الماء الذى يجلب الخضرة يتفانى الناس فى خدمته وتحترمه الآلهة » .

وقد كان لانتشار عقيدة « **أوزيريس** » وملحمته المشهورة أثر فى التوحيد بين النيل كإله وبين « **أوزيريس** » وكان من بين ما أطلقوا على

النيل من أسماء « **ونن نفر** » وهو من أسماء « أوزيريس » وأنشدوا له :

كل من يرى النيل فى فيضانه تدب الرعشة فى أوصاله ، أما الحقول فتضحك وأما الشواطئ فتكسوها الخضرة وتتساقط هبات هذا الإله وتعلو الفرحة وجوه البشر .

أما قلوب الآلهة فتخفق من السعادة .

وقد وحد المصرى بين النيل وبعض الآلهة الأخرى التى كانت لها صلة بخصوبة الأرض أو المياه مثل « **خنوم** » الذى كان يطلق عليه « **رب المياه الطاهرة** » .

إيمحوتب . . إله الطب

من نوابغ البشر ولد وعاش بمصر فى مستهل الألف الثالث ق . م وارتبط اسمه باسم الملك « زوسر » مؤسس الأسرة الثالثة ، بدأ حياته معمارياً كأبيه ، ولم يقتصر نبوغه على العمارة بل امتد إلى نواح أخرى ، فقد ذكر المؤرخ المصرى « مانيتون » الذى عاش فى القرن الرابع ق . م عند حديثه عن زوسر قال : وفى عهده عاش « إيموثيس » (إيمحوتب) الذى يعتقد اليونانيون أنه « أسكلبيوس » إله الطب عندهم بسبب مهارته فى الطب وقد اكتشف هذا الرجل فن البناء بالحجر المنحوت وأقبل بكل روحه وبحماس شديد على العلم ، ولكننا نعلم أن المصريين استخدموا الحجر المنحوت فى تشييد مبانيهم قبل أيام « إيمحوتب » بعهد طويل منذ أيام الأسرة الأولى ، ولكنه صاحب الفضل فى كونه أول من أقام مبانٍ كبيرة الحجم من الحجر فى مصر ، بل فى العالم كله ، وأول من شيد المقبرة الملكية على هيئة هرم مدرج وأول من استخدم الحجر على نطاق واسع فى تشييد المعابد ، وعلى الأخص العناصر المعمارية التى كانت تبنى حتى أيامه بالطين أو بالبوص أو الخشب وفروع الشجر .

كانت المقابر الملكية حتى آخر أيام الأسرة الثانية تبنى من الطوب اللبن على هيئة بناء مستطيل كبير الحجم يسميه الأثريون « مصطبة » لمشابهته

للمصاطب التى يبنيها سكان القرى فى مصر أمام بيوتهم ، ولكن « إيمحوتب » أدخل شيئاً جديداً عندما قرر تشييد قبر « زوسر » فى سقارة على هيئة مصطبة كلها من كتل الأحجار ثم أخذ يزيد عليها مصطبة فوق أخرى ، حتى بلغ عددها ست مصاطب ، وهو الهرم المدرج بسقارة ، ولم يكتف بذلك بل بنى حول الهرم سوراً ضخماً بالحجر مازال جزء كبير منه قائماً فى مكانه حتى الآن ، وبنى فى داخل السور مجموعة من الهياكل والمبانى الأخرى وكلها من الحجر نرى فيها استخدام الحجر لأول مرة فى بعض العناصر المعمارية ، ومازالت هذه الآثار تثير إعجاب كل الزائرين اليوم كما استأثرت بإعجابهم فى العصور القديمة وخصوصا السور الكبير وتلك الأعمدة الرشيقة فى المدخل وفى الهياكل التى كانت مصدر إلهام لبعض معمارىى اليونان فيما بعد .

وعرف « زوسر » قدر مهندسه فأكرمه كل الإكرام وأوكل إليه أهم الوظائف فى البلاد ، فكان مديراً لجميع الأعمال وكبيراً لكهنة هليوبوليس كما كان مشرفاً على الخزانة ، وبعبارة أخرى أصبح الرجل الأول فى البلاد بعد الملك ، بل ذهب فى تكريمه إلى أبعد من ذلك ، إذ كتب اسم مهندسه على قواعد تماثيله الملكية وهو شرف غير عادى ، ولم ينس المصريون « إيمحوتب » بعد وفاته ، فقد ظل اسمه يتردد فى كتابات الدولة الوسطى ويذكرون مع الإعجاب فضله وحكمته ، وأنه كان وزيراً لزوسر ، كما كان من عادة الكتاب فى الدولة الحديثة إراقة بضع قطرات

من الماء قرباناً له قبل أن يبدءوا فى الكتابة ، وفى أيام الأسرة ٢٦ – أى بعد أكثر من ألفى (٢٠٠٠ سنة) بعد موته – زاد تقدير المصريين لنباغته حتى ألهوه وسموه « ابن بتاح » وبنوا له المعابد فى جهات كثيرة من البلاد سواء فى منف أو فى الصعيد . أو فى بلاد النوبة أو الواحات ، وعندما زاد اتصال اليونانيين بمصر فى القرن السابع ق . م ووقفوا على ما كتبه « **إيمحوتب** » فى علوم الطب أبوا أن يصدقوا أن مثل هذا النابغة يمكن أن يكون بشراً كسائر الناس ، بل هو إله ، وقالوا إنه لم يكن إلا « إسكبيوس » إله الطب عندهم الذى عاش فى مصر فى ذلك الزمن البعيد تحت اسم « **إيمحوتب** » .

ونحن لانعرف الكثير عن حياته الخاصة وكل ماحفظه لنا التاريخ المصرى عن حياته وقاله المصريون لليونانيين أنه من بلدة الجبلين جنوبى الأقصر ، كما عرفنا اسم أبيه وكان يسمى « كانفر » وكان مديراً للأعمال فى الوجه القبلى والوجه البحرى ، وذلك من نقش مهندس معمارى اسمه « خنوم أب رع » عاش حوالى عام ٤٩٥ قبل الميلاد ، وذهب إلى وادى الحمامات بين قفط والقصير للحصول على الأحجار اللازمة لبناء كان مكلفاً بالإشراف على تشييده ، وسجل فى ذلك النقش سلسلة طويلة بأسماء جدوده وأكثرهم من المعماريين ، وكان أقدمهم جميعا « إيمحوتب » وأباه .

وفى كثير من متاحف العالم توجد تماثيل صغيرة الحجم من البرونز

تمثله كطبيب وقد عثر على الجزء الأكبر منها أثناء حفائر « ماربيت » فى سقارة فى منتصف القرن ١٩ على مسافة غير بعيدة من الطريق الموصل إلى السرابيوم مما يرجح معه وجود هيكل له فى تلك المنطقة لم يكتشفه أحد حتى الآن ، أما قبره ، فمن المرجح أن يكون فى سقارة غير بعيد من هرم « زوسر » ولكن أحداً لم يعثر عليه بعد .

أول جامعة فى العالم

بعد أن تكلمنا عن الجوانب المختلفة التى تمس الطب الفرعونى – يجدر بنا أن نتحدث عن أقدم جامعة مصرية فى التاريخ – والتى كان لها الفضل الأكبر فى تخريج علماء اليونان ومنهم **أفلاطون** الذى أمضى ١٣ عاماً فى الدراسة بحرمها الجامعى ، وتحت أيدى الأساتذة القدماء من المصريين – كانت هى – جامعة هليوبوليس – **وهليوبوليس** – اسم أطلقه الإغريق على أولى عواصم مصر المتحدة ويرجح المؤرخون نشأتها إلى ماقبل ٤٢٤٠ قبل الميلاد ونجد مابقى من آثارها حتى الآن فى المكان المعروف اليوم باسم « عين شمس » فى منطقة المطرية فى شمال القاهرة ، **ولايستبعد وجود صلة بين هذا الاسم الحديث وبين اسمها الفرعونى** القديم « أون » إذا تصورنا أن « عين » تحريف للفظ « أون » ثم أضيف لفظ الشمس لصلة المدينة بعبادة ذلك النجم . وتعنى كلمة « أون » الهيروغليفية البرج الذى كان الكهان يرصدون منه الشمس والنجوم والكواكب .

وقد تمكن هؤلاء الكهان من اتباع تقويم نجمى يقسم السنة إلى اثنى عشر شهراً والشهر إلى ثلاثين يوماً وهو التقويم الذى أدخلت عليه بعض التعديلات الطفيفة ، ولايزال العالم يأخذ به حتى الآن فى التقويم

الميلادى المعروف ، وقد تمكنت هذه الحكومة الموحدة التى أقامها أهل الدلتا فى « أون » قبيل الوحدة التاريخية على يد الملك « مينا » من تنظيم الحياة الزراعية وضبط مياه النيل – وقد كانت هليوبوليس عاصمة للإقليم الثالث عشر من أقاليم الوجه البحرى .

ولم يبق من آثار تلك العاصمة العتيقة غير تلك المسلة من الجرانيت الأحمر وهى إحدى اثنتين أقامها فرعون مصر سنوسرت الأول ثانى ملوك الأسرة الثانية عشرة ، وقد عرف عن كهان هليوبوليس أنهم كانوا من أغزر المصريين علماً ، وأنهم استطاعوا أن يؤثروا فى حياة مصر الثقافية والعقلية والروحية ، وأقاموا فى معبدهم بالمدينة **أول جامعة فى العالم** وتتلمذ على يدهم الكثير من أساطين الإغريق فى العالم فى العلم والفلسفة .. وهناك رواية غير مؤكدة تحكى أن علماءهم قد تخرجوا فيها .

وتزخر المناطق المحيطة بعين شمس فى أحياء المطرية والحلمية والزيتون وقرى المرج والخصوص وعرب الحصن بالكثير من المقابر ، كما أن المسلتين القائمتين الآن فى لندن ونيويورك كان تحوتمس الثالث قد أقامهما فى هليوبوليس .

* **ولم يقف تفوق المصريين عند علوم الطب ، بل تعداه** إلى علوم أخرى ، فقد توصل المصريون بحكم ماشتغلوا به من أعمال البناء والعمران إلى كثير من قواعد المساحة ونظريات الهندسة ، فحسبوا مساحة

المثلث بنفس القواعد التى نحسبه بها اليوم ، مقدرين أنه يساوى نصف المستطيل الذى ينشأ على مثل قاعدته وارتفاعه ، وبذلك كانت مساحة المثلث حاصل ضرب نصف القاعدة فى الارتفاع . وكذلك عرفوا مساحة شبه المنحرف وهى نصف مجموع القاعدتين فى الارتفاع . **على أن الذى يذكر لهم بالفخر** حقًّا إنما هو توصلهم إلى مساحة الدائرة التى استخرجوها من مربع ٩/٨ القطر أى أن النسبة التقريبية (ط) فى حسابهم كانت ٣,١٦ بدلاً من ٣,١٤ فى حسابنا ، وهو فارق نتسامح لهم فيه شاكرين ، وحسبهم أنهم توصلوا إلى العلاقة الثابتة بين المساحة والقطر فى الدائرة ، كبيرة كانت أو صغيرة ، وذلك إلى جانب الأسس الأولى لحساب المثلثات من حيث استخراج الزوايا والارتفاعات العمودية ، وكذلك اهتدوا إلى قواعد الحجوم فتوصلوا فى ذلك التاريخ البعيد إلى استخراج جرم ما من حاصل ضرب الطول فى العرض فى الارتفاع فعرفوا **حجم المكعب** والهرم **وحجم الأسطوانة** من حاصل ضرب مساحتها فى ارتفاعها . وبلغوا الذروة فى حساب **حجم الهرم الناقص** ، بل حسبوا كذلك **حجم المسلة** لمعرفة وزنها التقريبى وماعسى أن تقتضيه إقامتها من العمال والمعدات ، وهى على كل حال هرم كامل من فوق هرم ناقص وهى مسائل ضرورية فرضتها خطط النقل والإنشاء .

* هكذا رفع المصريون الأطباء والعلماء وبعض الكتاب وجعلوهم فوق مراتب البشر ، حتى غدوا من الخالدين . نذكر على سبيل المثال

الكاتب «ايمحتب» وزير «زوسر» الذى قدس فى العصور المتأخرة كإله للطب – ولأن الكتاب استمروا على تقديسه وتعظيمه – كانوا يصبون بعض نقط من الماء الذى يستخدمونه فى تكوين الأحبار قبل البدء فى الكتابة تيمناً بهذا الكاتب الكبير ، ثم «كاجمنى» وغيرهم من قدامى المثقفين والحكماء . ثم «آمنحوتب بن جابو» الذى يرجع إلى أيام الدولة الحديثة والذى وصل إلى مرتبة الألوهية .

وقد جاء فى إحدى البرديات مايدل على مدى تقدير المصريين للكتاب حين تذكر : «أما الكتبة المتعلمون فإن أسماءهم أصبحت خالدة للأبد على الرغم من أنهم ذهبوا . . إنهم لم يصنعوا لأنفسهم أهراماً من المعدن أو شواهد قبور من الحديد تذكر أسماءهم ، بل تركوا لهم ورثة فى الكتابات وفى كتب الحكمة . . إن كتب الحكمة هى أهرامهم والعلم ابنهم . . وإذا كانوا قد ذهبوا فإن أسماءهم مازالت تذكر فى كتبهم وسوف تبقى ذكراهم إلى الأبد .

كلمة أخيرة :

شكراً للخالق

يميل المهندسون إلى التفاخر دائماً بما بلغته الآلات التى يصنعونها من قدرة وكفاية .. ولكن البشر لم يصنعوا قط آلة لها من القدرة والكفاية ما للجسم الإنسان منها . . فأين نستطيع أن نجد مضخة تبلغ من الكمال مبلغ القلب البشرى ؟ فإذا أحسن صاحب هذه الآلة تعهدها ظلت قائمة على عملها ٦٠٠,٠٠٠ ساعة تخفق فى كل ساعة ٤٣٢٠ خفقة وتدفع ٦٧ لتراً من الدم كل ساعة . وأى جهاز من أجهزة التلغراف يضارع جهازنا العصبى ؟ . . وأى مذياع يبلغ من حسن الأداء مايبلغه الصوت والأذن فى الناس ؟ . . وأية آلة مصورة تضارع العين البشرية فى كمالها ؟ وأى جهاز للتهوية يماثل الأنف والرئتين والجلد ؟

وأية لوحة كهربائية تضاهى النخاع الشوكى سرعة ودقة ؟

أو ليست هذه الآلة العجيبة خليقة بأقوم رعاية واحترام ! ؟ . .

إشارات

* « **بلينوس** »

« إنهم مبتدعو فن الشفاء .. ومكتشفوا خواص العقاقير .. »

* « **هيرودوت** » :

« إن المصريين القدماء كانوا يتعاطون الطب بتعقل ، فلم يكن أحد من هؤلاء يتدخل فى غير ماتخصص له .. وكانوا جميعاً أساتذة » ..

« إن دراستهم الطويلة للطب مع ممارستهم له هيأت للمصريين القدماء التبكير فى كثير من الاكتشافات الكيمائية .. وهكذا أصبحوا ماهرين فى التعدين والصباغة والدباغة ، وصنع الزجاج والصابون والسبائك .. حتى إن كلمة Chemistry اشتقت من الاسم القديم لمصر وهو Khemi « كيمى » باللغة المصرية القديمة .. » .

مراجــع

● أحدث وأهم مرجع عن الطب المصرى القديم هو المؤلف العظيم الذى أخذ الأستاذ « **هرمان جرابو** » وتلاميذه يصدرون أجزاءه ابتداء من عام ١٩٥٨ وقد صدر منه حتى الآن ستة أجزاء..

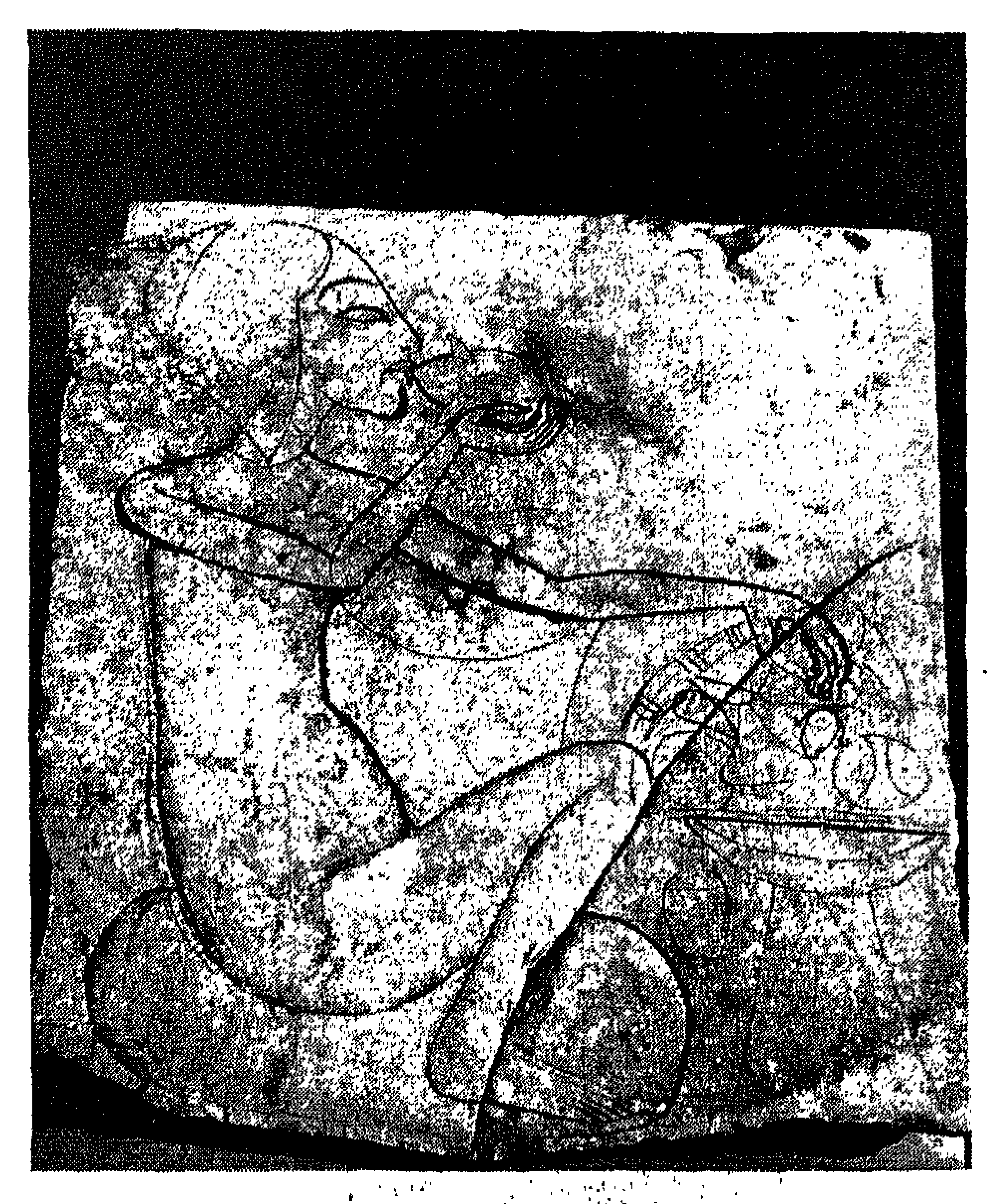
— Herman Grapow, Grundrisse der Medezin der Alten Agypter Berlin (1958-1962).

— Dr. Naguib Riad, La Medecine au Temps des pharaons (Paris, 1955).

— Walter C. Till, Die Arzneikunde der Kopten (Berlin, 1951).

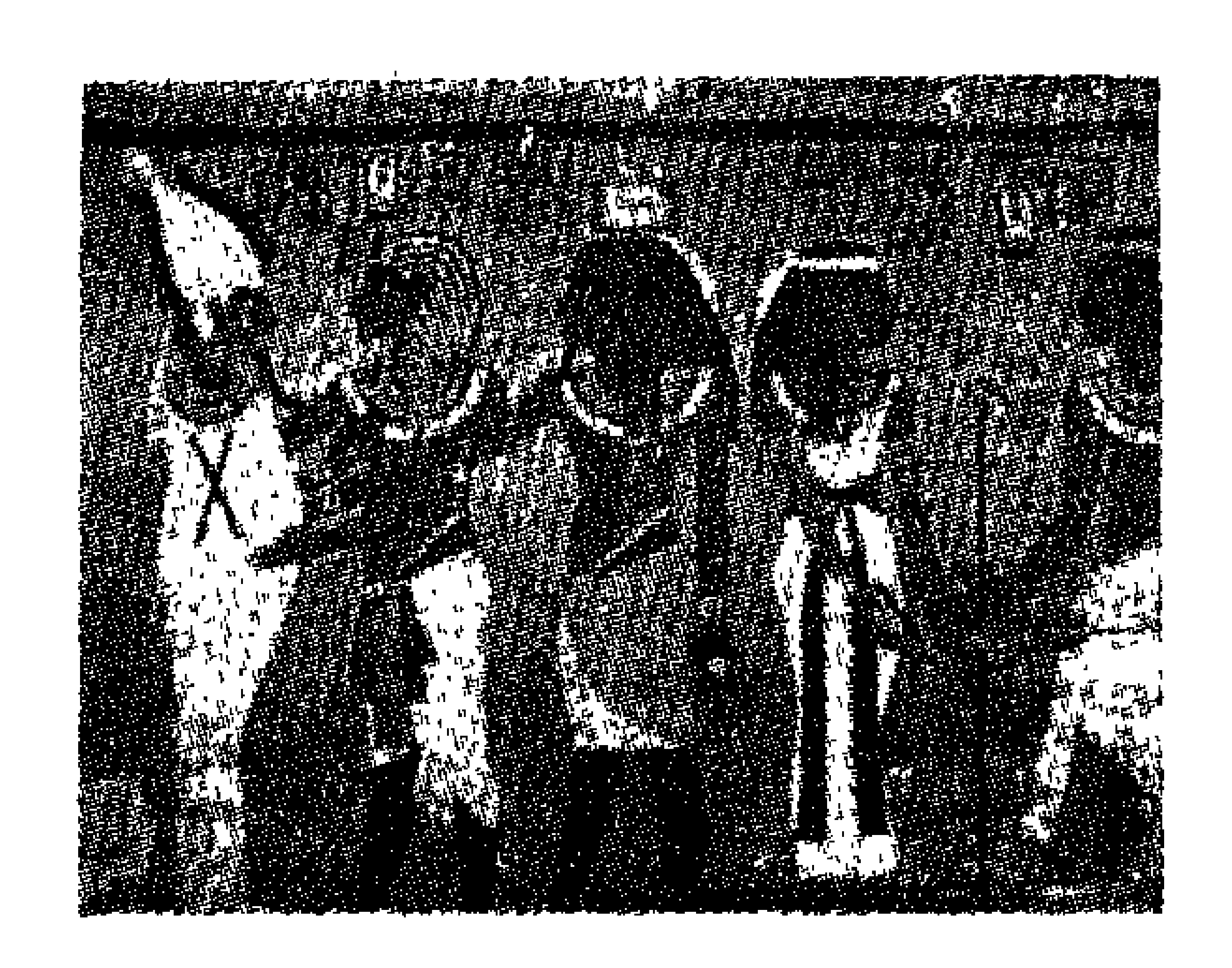
— Ebers, Der Papyros Ebers, 1875 Wreszinski, Die Medezin der Alten Egypter, 1913. Ebbel, the Papyrus Ebers, 1937.

— Farina, II papiro die Re, dei Rom 1938.

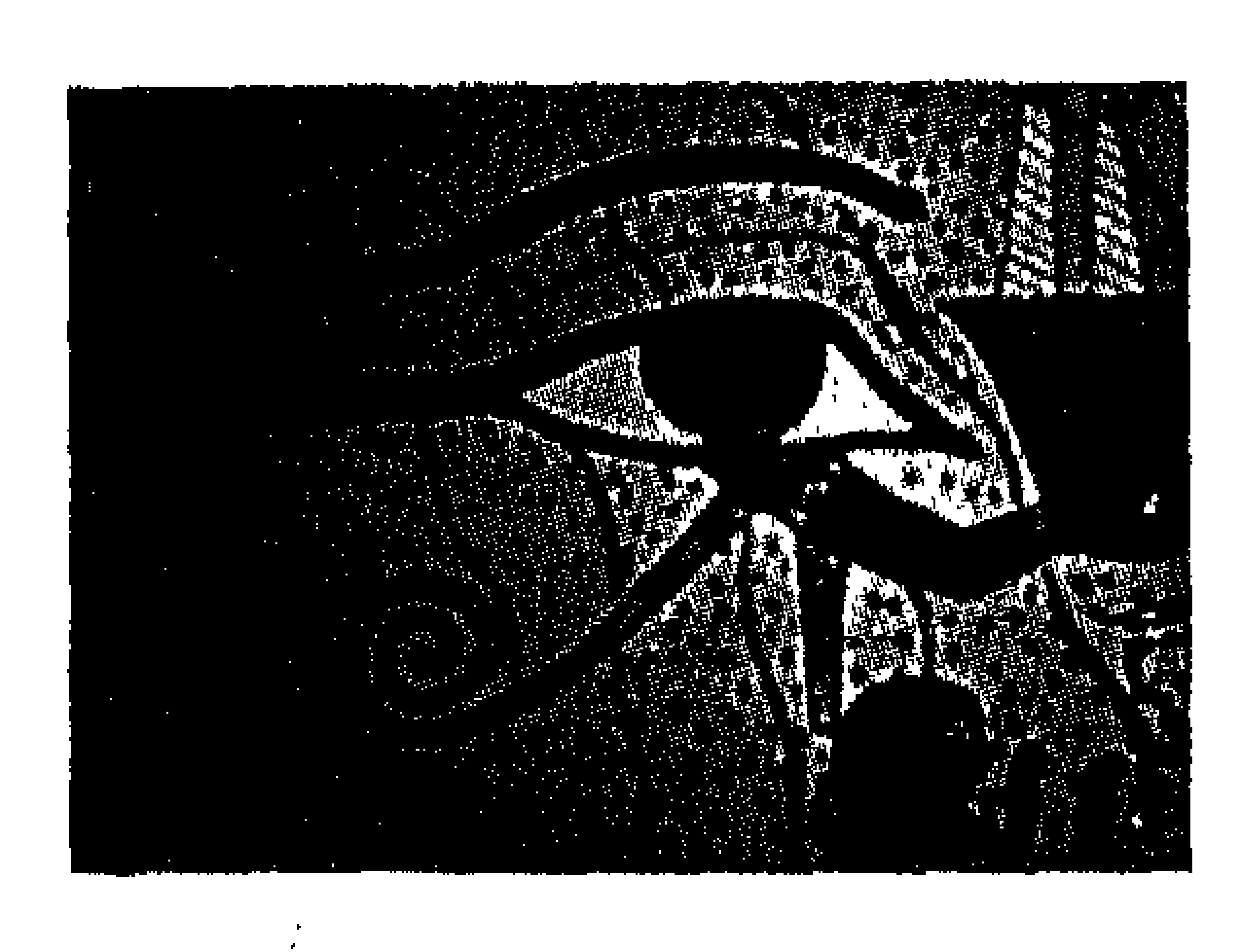


كان المصرى القديم يهتم بالصحة العامة وكيفية الحفاظ عليها ، كان يعتنى بتكامل العناصر الغذائية فى طعامه حرصه فى ذلك على عمله ونشاطه ، فهذه صورة من إحدى المقابر تمثل صاحبها وهو جالس على (شلتة) وأمامه حامل ترتكز عليه سلة فيها طعامه وهى (خبز على شكل مثلث ، ثم جزر وطماطم وفى يده يحمل أوزة مشوية) وإلى جانبه توجد قلة بها ماء على حامل .

وهى صورة رائعة تبين حرص المصرى ووعيه الصحى .



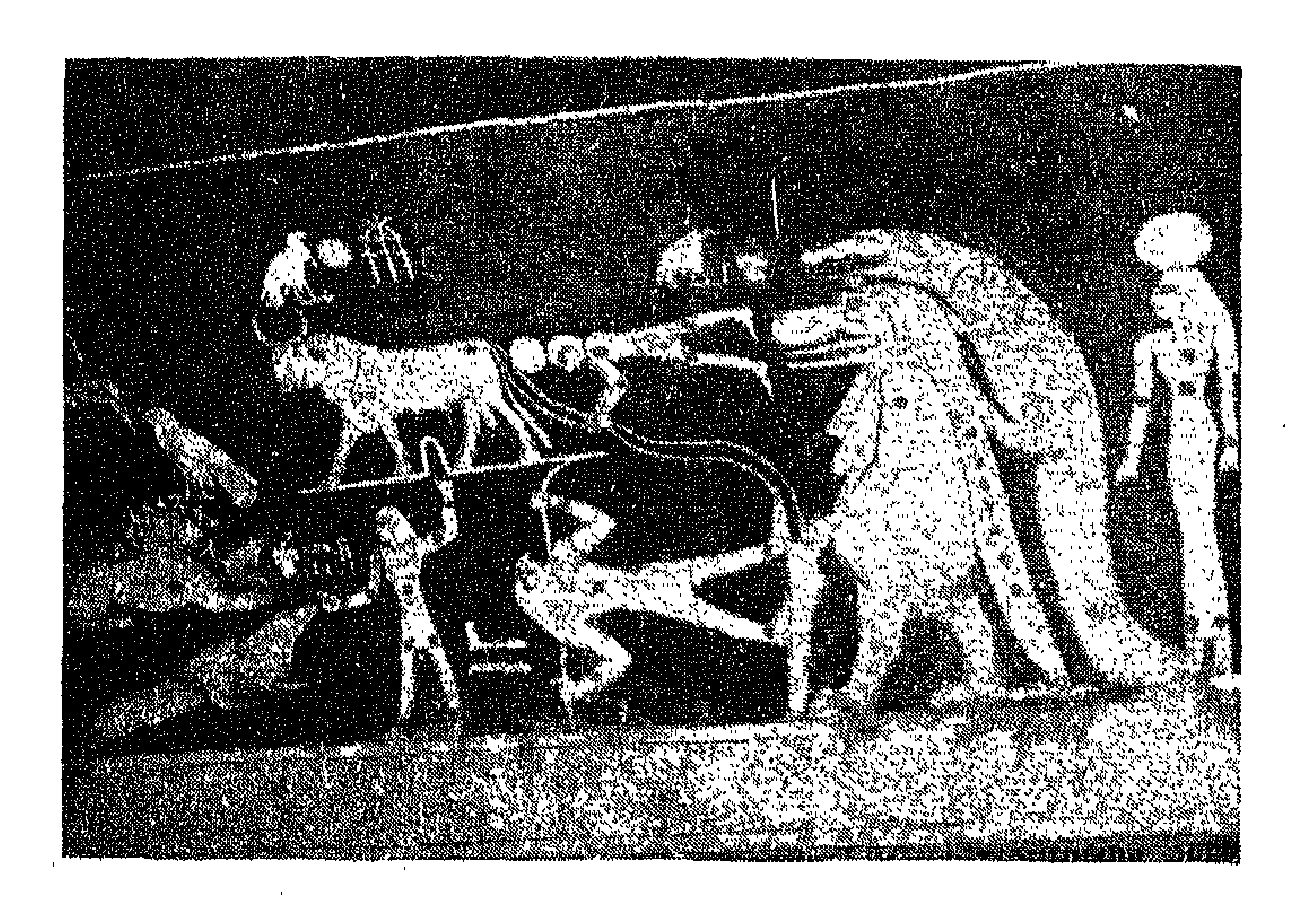
تميزت ديانة المصريين بالطقوس الدينية الجنائزية التي استلهمتها عقيدتهم فى الخلود ، كما تميزت بالطقوس الدينية . التى كانت تجرى فى المعابد على نمط ظل متبعاً آلاف السنين .
صورة تمثل طقوساً جنائزية وقراءة تعاويذ سحرية وخلافه أمام المومياء .



عين أوزيريس تتعلق بالحسد والسحر



قطعة نسيج فى غاية الروعة – منسوجة من الكتان تبين الملكة وهى تتجه بوجهها إلى الجعران المشكل على هيئة تمساح ربما لالتماس التعاويذ السحرية ، ومن خلفها صورة أخرى لها وهى تجلس على ركبتيها تتلمس البركة من الآلهة الحية واجيت ، وبجانبها (صورة) أخرى للملكة واقفة فى ثوبها المشوق تتلمس الأوعية السحرية من الجعران تارة بتاج الشمال وتارة بتاج الجنوب يباركها الإله حورس وعناية الإلهة .



نقوش فرعونية داخل مقبرة فرعونية – تمثل القوى الخفية التى كان يتصورها المصرى القديم ربما كانت تتعلق بالسحر والشعوذة .

الكتاب القادم

كهف الحكيم

فتحي العشري

رقم الإيداع	١٩٧٧/٥١٦٨
الترقيم الدولي	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ١٠٨ - ٦

١٤٩/٧٧/ق

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)



هـذا الكتاب

يتصل الطب المصرى القديم بالطب الحديث اتصالا وثيقا.. فقد كان الطب قديما يتصل بالدين.. والحكمة والفنون فبرع فيه الكثيرون.. ووضعوا الكثير من النظريات الطبية التى يقوم عليها الطب الحديث..

وهذا بحث فى بدايات الطب المصرى القديم وترجمة وافية للأساطين الذين أسهموا فى إقامة هذا العلم.

٤٥٠٤٩٥/٠١

١٠ جـ